أنوار المعارف وأسرار العوارف

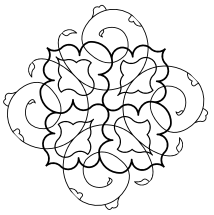

للشيخ الإمام

عبد العزيز الديريني

(ت 612 - 694 هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)

اعتنى به

نزار حمَّادي

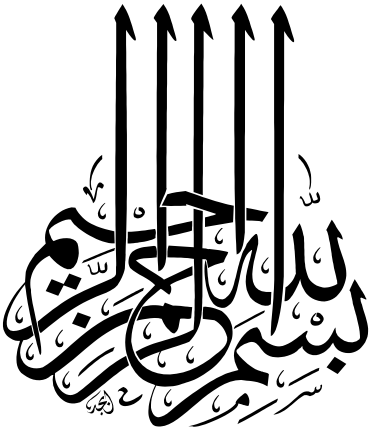
بسم الله الرحمن الرحيم

أنوار المعارف
وأسرار العوارف

للشيخ الإمام

عبد العزيز الديريني

(ت ٦١٢ ـ ٦٩٤ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)

اعتنى به

نزار حمَّادي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ وَجَعَلَ لَهُ عَقْلًا، وَوَفَّقَهُ للتَّمْيِيزِ بين الجَائِزِ وَالوَاجِبِ وَالـمُسْتَحِيلِ لُطْفاً مِنْهُ وَفَضْلًا، وَالشُّكْرُ لَهُ أَنْ هَدَانَا لِـمَعْرِفَةِ عَقَائِدِ الإِيمَانِ وَأَدِلَّتِهَا، وَسَلَكَ بِنَا طَرِيقاً أَشْعَرِيَّةً فِي تَحْصِيلِهَا وَتَحْصِينِهَا.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الـمَوْصُوفِ بِالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ وَالتَّبْلِيغِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الـمُبَرَّئِينَ مِنَ الزَّلَلِ وَالزَّيْغِ.

وَبَعْدُ؛ فَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّ شَرَفَ العِلْمِ يَتْبَعُ شَرَفَ الـمَعْلُومِ، وَثَبَتَ أَنَّهُ لَا مَعْلُومَ أَشْرَفَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَأَنْتَجَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا عِلْمَ أَشْرَفَ مِنَ العِلْمِ بِهِ وَلَا مَعْرِفَةَ أَرْقَى مِنْ مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ جَلَالِهِ وَإِكْرَامِهِ.

وَالـمَعْرِفَةُ بِهِ ـ تَعَالَى ـ الـمَطْلُوبَةُ مِنَّا شَرْعاً إِنَّمَا هِيَ مَعْرِفَةُ وَصْفِهِ بِجَمِيعِ صِفَاتِ الكَمَالِ، وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ وَالزَّوَالِ، وَذَلِكَ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالأَفْعَالِ.

وَقَدْ أَثْبَتَ اللهُ ﷻ أُصُولَ وَفُرُوعَ تِلْكَ الـمَعَارِفِ بِأَوْجَزِ أُسْلُوبٍ وَأَفْصَحِ بَيَانٍ، وَقَرَّرَهَا فِي عَدَدٍ لَا يُحْصَى كَثْرَةً مِنْ آيَاتِ القُرْآنِ، ثُمَّ وَفَّقَ العُلَمَاءَ الرَّبَّانِيِّينَ لاسْتِخْرَاجِ تَفَاصِيلَهَا وَبَسْطِ حُجَجِهَا العَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ بِغَايَةِ الإِتْقَانِ،

فَنَالُوا بِذَلِكَ شَرَفَ الانْدِرَاجِ فِي قَوْلِ اللَّطِيفِ الكَرِيم: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وَهَذِهِ المَعَارِفُ الإِلَهِيَّةُ ـ بِلَا شَكٍّ ـ هِيَ أَفْضَلُ مَا أُوتِيَهُ الخَلْقُ بِاتِّفَاقٍ، فَلاَ نِعْمَةَ أَعْظَمَ مِنْهَا مِنْ سَائِرِ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى بِالإِطْلَاقِ، وَهِيَ إِذَا وَقَعَتْ فِي قَلْبِ الإِنْسَانِ عَلَى وَجْهِهَا الصَّحِيحِ وَصَحِبَهَا القَبُولُ وَالإِذْعَانُ ارْتَقَتْ بِهِ مِنْ دَرَكَاتِ البَهِيمِيَّةِ إِلَى دَرَجَاتٍ الـمَلَكِيَّةِ، وَأَثْمَرَتْ لَهُ خِصَالًا عَلِيَّةً وَأَخْلَاقاً رَفِيعَةً سَنِيَّةً.

وَقَدْ أَشَارَ شَيْخُ الإِسْلَامُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الشَّافِعِيُّ الأَشْعَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «اعْلَمْ أَنَّ مَعْرِفَةَ الذَّاتِ والصِّفاتِ مُثْمِرَةٌ لِجميع الخَيْراتِ العَاجِلةِ وَالآجِلةِ، وَمَعْرِفَةَ كلّ صِفةٍ مِن الصفاتِ تُثمِرُ حَالًا عَلِيَّةً، وَأَقْوَالًا سَنِيَّةً، وَأَفْعَالًا رَضِيَّةً، وَمرَاتِبَ دُنْيَوية، ودرَجاتٍ أخرويَّة؛ فمَثَلُ معرفةِ الذَّاتِ والصفاتِ ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا﴾ وهُوَ مَعْرِفَةُ الذَّاتِ ﴿ثَابِتٌ﴾ بالحُجَّةِ وَالبُرْهانِ، ﴿وَفَرْعُهَا﴾ وَهُوَ معْرِفَةُ الصِّفاتِ ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ مَجْداً وشرَفاً، ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ مِنَ الأَحْوَالِ وَالأَقْوالِ وَالأَعْمالِ ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[1] وهُوَ خالِقُهَا؛ إِذْ لَا يَحْصُلُ شَيْءٌ مِنْ ثِمارِهَا إِلَّا بِإِذْنِه وتَوْفِيقِهِ.

مَنْبَتُ هَذِه الشَّجرَة: القَلْبُ الَّذِي إِذَا صَلُحَ بِالـمَعْرِفَةِ والأحوَالِ صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ فِي الحَالِ بِالأقوالِ وَالأَعْمالِ، وَفِي الـمآلِ بِنَعِيم الجِنانِ وَرِضْوَانِ

(١) سورة إبراهيم: الآية ٢٤، ٢٥.

ذِي الجَلَالِ؛ وَإِذَا فَسدَ بِالغَيِّ وَالضَّلالِ فَسدَ الجَسدُ كُلُّه فِي العاجِل بِالـمَعاصِي وَالإِهْمالِ، وَفِي الآجِلِ بِعَذَابِ النَّارِ وغضَبِ الجَبَّارِ.

مَنْ فقَد فَرْعاً مِن فُروعِ هذه الشَّجرَةِ فَقَدَ ثَمرَاته فِي الحَالِ والـمَآلِ، فَطُوبَى لِـمَنْ غَرسَ هَذِه الشَّجرَةَ بالنَّظرِ[1]، وَتعهَّدهَا بِالتَّقْوَى، وحَرَسَها بِالاسْتِقامَةِ، ونَفَى عَنْهَا شعَثَ الـمُخالَفَةِ، وصانَها مِن رياح الهوى، وخافَ عَلَيْها مِنْ صَوَاعِقِ الشَّكِّ وَبَوَائِقِ الشِّرْكِ وَجَوَائِحِ سُوءِ الخَاتِـمَةِ؛ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩][2].

وبين يديك عزيزي القارئ هذه الرسالة اللطيفة المختصرة المصنفة في علم معرفة الله تعالى ومعرفة السلوك في طريق مرضاته، وهي رسالة «**أَنْوَار الـمَعَارِفِ وَأَسْرَار العَوَارِفِ**» للشيخ الإمام المفسر الأديب الفقيه العابد والورع الزاهد: عز الدين عبد العزيز بن أحمد الدميري الأصل، الشافعي مذهباً، السنيُّ الأشعريُّ معتقداً، المعروف بالديريني (٦١٢ ـ ٦٩٤هـ)[3].

---

(١) يعني به التأمل والتفكر في آيات الله تعالى الموصلة إلى معرفته ﷻ، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١].

(٢) شجرة الأحوال، (ص٦٤) طبعة دار الفكر، سوريا.

(٣) تراجع ترجمته المفصلة في الطبقات الكبرى للتاج السبكي (ج٨ ص ١٩٩ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية)؛ والدليل الشافي على المنهل الصافي لابن تغري (ج١/ص٤١٤ ترجمة رقم ١٤٢٥ تحقيق فهيم محمد شلتوت، ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٩٨م)، طبقات المفسرين للداودي ج١/ص٣٠٥، ٣٠٦ ترجمة رقم ٢٨٥، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (ج٢/ص ٢٣٣ ترجمة رقم ٤٧٢ بعناية د. الحافظ عبد الحليم خان، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م).

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صدر هذه الرسالة مقدمة عقدية محكَمة على مذهب أهل السنة الأشاعرة، بين فيها إجمالا ما يجب اعتقادُه في حق الله تعالى من صفات الكمال، وما يستحيل أن يتصف به تعالى من صفات النقص، وما يجوز له ﷻ فِعله، وذيلها ببعض مباحث النبوات فبيّن ما يجب اعتقادُه في حق نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووجوب تصديقه في جميع ما أتى به من السمعيات.

وبعد ذلك شرع في ذكر ثمرات هذه المعرفة الصحيحة، وعقد لها بابا سماه «بَاب بَيَانِ سُلُوكِ الطَّرِيقِ إِلَى اللهِ ﷻ»، ورتبه على ثلاث مراتب، وفي كل مرتبة مقامات وأحوال، ومثَّل لذلك بمسافر يسلك الطريق قاصداً الحج، فبيّن ما ينبغي له إعداده واعتباره ليصل إلى مقصده ويؤدي نُسُكه.

فالـمَرْتَبَةُ الأُولَى: التَّأَهُّبُ لِلسَّفرِ، ذكر فيها مقامات منها: اليَقَظَة، والتَّوْبَة، الـمُحَاسَبَة، الرِّيَاضَة، الحُزْن، الخَوْف، التَّقْوَى، وَالزُّهْد، وَالوَرَعُ، وعرَّف كُلًّا منها وذكر دليلَهُ من الكتاب والسنة.

والـمَرْتَبَةُ الثَّانِيَة: الغُرْبَةُ، ذكر من المَقَامَات فيها الإِرَادَة، والفِرَار إِلَى اللهِ تَعَالَى، والتَّوَكُّل، والصَّبْر عَلَى أَحْكَامه ﷻ، والشُّكْر.

وختم بالمرتبة الثالثة وهي الوصول إلى المشاهدة، فذكر مقاماتها وأحوالها، وحقيقة هذه المرتبة هو الإحسان الذي فسَّره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث بقوله: «أن تَعْبُدَ اللهَ كأَنَّكَ تَرَاهُ»[1].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة ـ باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].